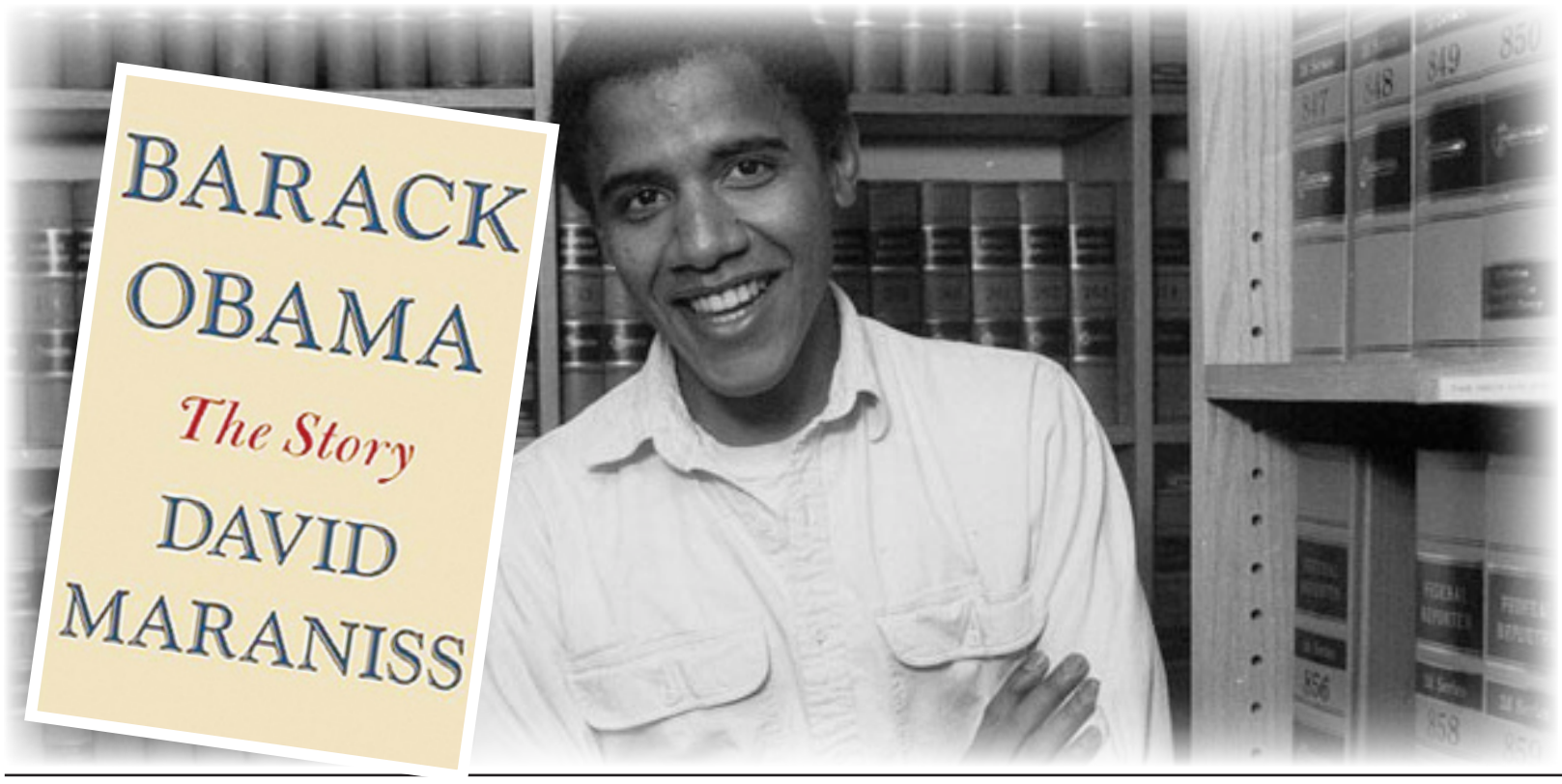

في عام 1979 كان أوباما (18 سنة) في السنة الأولى من دراسته الجامعية وهنا في هذه السيرة الجديدة عن حياة أوباما، يتم الكشف حول: كيف أصبح (باري) القادم هونولولو (باراك) ثم رئيساً للولايات المتحدة الأميركية؟.
كان الزمن فصل خريف عام 1979 عندما وصل أوباما إلى كلية اوكسيدينتال كلية صغيرة ليبرالية صغيرة في لوس انجلوس، وكانت الأجواء في الجامعة تبدو مقاربة لما كان الحال عليه في هاواي، ومألوفاً أيضاً، ولكن أوباما قد التحق بالكلية بحثاً عما هو اكثر من الدراسة.

□ **الكتاب: باراك اوباما**
كتابة: ديفيد مارانيس
ترجمة: ابتسام عبد الله

الرئيس الأميركي بين الابيض والأسود

بـــاراك أوبـــامـــا: أعـــوام الجـامـعـة

وتجربة اوباما في اكسيدينتال شكلت نصف تجربته في الكلية باراك أوباما أعوام الجامعة (سنتان فقط) من آب ١٩٧٩ والى حزيران ١٩٨١ ولكن تلك التجربة تركت أثراً عميقاً في شخصيته.
كان زملاء اوباما الذين يتقاسمون الغرفة التي خصصت لهم في (القسم الداخلي الملحق بالكلية) هم: الشاب الأشقر بول كاربينتر القادم من كاليفورنيا (يحب التزحلق على المياه) وعماد حسين، طالب باكستاني ميّال الى الضحك (نشأ في كراجي مع ان والديه كانا يقيمان في دبي)، وقد أنهى دراسته الثانوية في المملكة المتحدة، اما اوباما فكان يستمع انذاك الى اغاني هندريكس ولديه انطباع سيئ عن ميك جاغر.
كان ذلك (الملحق) بيتاً للطلبة الإفريقيين – الأميركيين والطلاب القادمين من قارة آسيا.
وكان أوباما اسود وأبيض، يحب التزحلق على الأمواج البحرية، يهوى كرة السلة، يحب الكتابة يدرك ويلاحظ ما حوله، أميركياً تاماً ومع ذلك ابن رجل إفريقي، وقد عاش في اندونيسيا عدة أعوام، ومقدرته على التجاوب مع مختلف الخطوط العريقة والثقافية، لم تكن سطحية المظاهر من اجل التعايش بل متجذرة في حياته ووجوده.
وقد لاحظ العديد من زملائه في الدراسة مدى الجهد الذي كان يبذله لتجاوز التناقضات التي شملت حياته والتي يتصدى لها في حياته الجديدة، ولقد اعتقدوا انه طالب هادئ، رابط الجأش، ذكياً دون أن يكون متصنعاً.
وبالنسبة لمارك بارسونز، الأقرب اليه، لأنهما كان معاً يمضيان الكثير من الوقت خارج المبنى الطلابي للتدخين، كان أوباما ناجحاً في تجاوز الفوضى في القسم الداخلي، وكان يرتدي الكثير من القبعات السخيفة المظهر، وكان أيضاً يدخن بشكل غريب، يدير معصمه الى الاعلى ويضع السيكارة بين السبّابة والإبهام، وكان يدخن نوعاً من المخدرات بنفس الطريقة أيضاً، ويقول بارسونز، احسست انه يدخن لانه مدمن مثلي، ولكن أوباما اخبرني انه سيترك المخدرات حال زواجه، ولكنه سيستمر مع التدخين لان ترك السيارة سيزيد من وزنه، ولا بأس من تركها بعد زواجه.
أما زميلة الدراسة ليزا جاك، التي كانت تحاول إقناع الطلبة للموافقة على تصويرها لهم، وتتذكر أن صديقة لها بدأت تتحدث عنه كشاب وسيم يتحدث عنه الطلاب، وقد وافق أوباما على تصويرها له.
في الساعة الـ ١١ من الصباح كان أوباما جاهزاً بلهفة للتصوير كان يرتدي سروالا عريضا من الجينز وقميصاً مفتوح الياقة، وقد جلب معه حزمة من السكائر من دون فيلتر، وسترة غريبة، وكانت ليزا لم تطلب منه جلب تلك الاشياء وبدأ اوباما في التحرك هنا وهناك لتحديد وقوفه امام العدسة واتخاذ الأوضاع المناسبة وأخذ يدخن مقلداً بوب ديلان، ووضع القبعة على راسه وكان هيندريكس (المغني) وكان يبدو سعيداً.
كانت الموضوعات التي يفضلها اوباما هي السياسية والعلمية والأدبية، وقد التحق بعدد كبير من الحلقات الدراسية، وكان يستمع في كل مناقشة الى الجميع بانتباه، قبل ان يدلي بآرائه حول الموضوع، اما الطالب جيف ياماغوشي فيعبر عن الامر بقوله: "انه يستمع ويستمع ويستمع، ولا يستجيب للنقاش بسرعة، انه يقرأ الناس بشكل جيد جداً، ولا يستخدم طريقة الكلام والتصرف مع شخص، انه يتجاوب مع كل وضع بشكل خاص".
إن الطلاب الأفارقة الأربعة في القسم الداخلي الملحق بالجامعة كان يدعون أوباما بالأخ، وكان يخبرهم عن شوقه لزيارة إفريقيا لرؤية والديه وجذوره وتحدث لأحدهم ويدعى كوفي مانو، من غانا، حول رغبته للانتقال إلى شقته، ولكنه في النهاية انتقل الى الشقة التي كان يسكنها صديقه الباكستاني حسن جاندو، وأصبحت شقتهما بعدئذ ملتقى للطلبة الباكستانيين وأصدقائهم ومع اولئك وجد أوباما الراحة، وقال وهو في البيت الابيض بعد عدة عقود من الزمن، كانوا من اقرب الأصدقاء لم يكن العرق او الجنس هو السبب بل الإحساس بالعالمية، كانوا بلا شك مواطنين عالميين ينتقلون من مكان إلى آخر، وكانوا جميعاً يتقاسمون الثقافات المتسعة الممتدة وقد رسخت تلك المزايا صداقتنا.
ان المناقشات التي كانت تدور بينهم في تلك المرحلة ليليا، كانت اكثر كثافة من تلك التي جرت

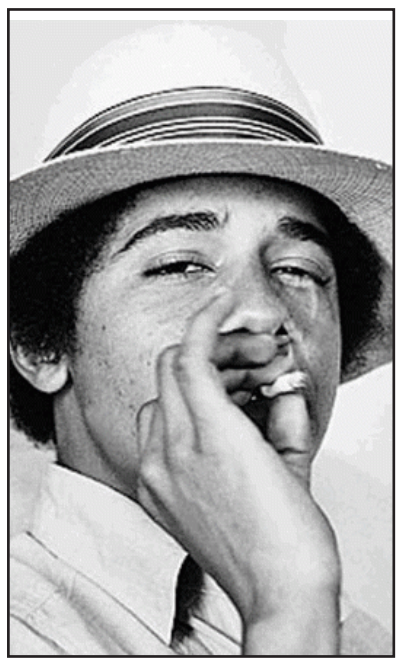
شقاوة الشباب

الحياة الجامعية

لم يحسس باراك اوباما بأي ارتباط أو صلة مع جامعة كولومبيا، ولكنه صادق فعلاً الكسندرا ماكنير، زميلته السابقة في الاوكسيدينتال ونشأت علاقة بينهما، وكانت ماكنير تحرر المجلة الثقافية في الاوكسيدينتال التي كانت بعنوان (فيست) وقد نشر فيها اوباما قصيدتين وفي الحقيقة فان اسم باراك اوباما، الذي كانت تعارضه باري طبع للمرة الأولى في العدد الأول من المجلة المذكورة، وكانت ماكنير تزور نيويورك في ذلك الصيف وبقيت هناك حوالي شهرين، وهي الفترة التي امتدت علاقة الحب بين الاثنين.
وعندما حان الوقت لعودة ماكنير إلى جامعة اوكسيدينتال بدأت بين الاثنين علاقة من نوع آخر، تعقد على المراسلات وكان أوباما الشخصية الرئيسية في الرسائل التي كان يبعثها، مؤكدا نفسه مع تنويعات من الموضوعات التي تتناول بحثه عن غاية وهوية شخصية متميزة، ففي احدى تلك الرسائل، اخبر صديقته أن أصدقاءه الباكستانيين، يتوجهون كما يبدو نحو ميدان الأعمال التجارية، وفي الوقت نفسه، يجد أصدقاءه القدامى من هونولولو، يودّون العودة إلى مدينتهم، إن ذلك الأمر سيتركه في وضع الحسد لكلا الطرفين، وكتب لها لأيضاً موضحا: "أصبحت غير منتمياً إلى طبقة ما او كيان معين او أعراف وتقاليد تدعمني بشكل ما، عليّ اختيار طريق مختلف لي.. ان الوسيلة الوحيدة لإشباع مشاعر العزلة التي تحيط بي هي امتصاص كافة التقاليد والأعراف (وكافة) الطبقات واجعلها تخصني وأكون جزءاً منها".
في تلك المرحلة من الزمن كان اوباما في الـ٢٢ من عمره، عندما تشكلت لديه تلك الافكار التي تبدو مفتاحاً لفهم شخصيته، اوباما السياسي والشخصية العامة المعروفة، وعبارة (بدون طبقة) كانت تعني دخوله سن الرشد دون أي ضمان مالي،

اوباما مع صديقته

أما عبارة، (بدون كيان معين) كانت تعني أنه قد بلغ سن النضج مفتقداً أساساً عائلياً صلداً، إذ غاب عنه والده ووالدته غالباً في مكان آخر، اما جداه فقد كانا يقدمان افضل ما لديهما ولكن هذه العوامل تؤدي جميعها الى الاحساس بعدم وجود جذور له، وانه غريب تماماً، اما عبارة، (اعراف وتقاليد) فقد اشارت الى افتقاده الاساس الديني، كما انه يحس بالانتماء الى البيض والسود، ويشعر الإحساس نفسه نحو الطرفين وفي النهاية تمكن من الوصول الى بعض الخيارات المهمة، بالنسبة لكيفية اختيار طريقته في العيش متوجهاً نحو عالم السود بصلابة، ولكن أوباما وضمن إحساسه الأوسع، وفيما يخص حياته الشخصية ما وراء العائلة لم يكن يقلص طموحاته في الأسرة والخيارات الضيقة.
إن السبيل الذي رآه لنفسه كان الارتفاع فوق الخلافات والانقسامات الثقافية والأعراف المختلفة والمجتمع والسياسة والاقتصاد، واحتضان شيء أوسع بكثير، أن اختيار شيء معين سيقلص من طموحاته، وهكذا كتب الى ماكنير: (إن ذلك الأمر غير مقبول ولا يمكن الدفاع عنه).
ومع إلقاء نظرة على تلك المرحلة الزمنية عبر المسافة الى البيت الأبيض، يقول أوباما متذكراً (كل شيء كان في عقلي.. ومع تأمل تلك الأفكار أحس ان الأمر لم يكن سليما تماما).
ولكن الإدراك بأن عليه امتصاص كافة الأعراف والتقاليد، سيكون الأساس المنطقي لكل ما حدث لاحقا.
وقال أوباما وهو يعود بذكرياته الى الوراء، "إن تلك السياسة هي التي بقيت لي بدون شك، وهي التي جعلتني أحس بهويتي وأشعاري بما كنت عليه، في الحث تحت سطح الاختلافات ما بين الناس). وهذا ما ذكره اوباما في مقابلة جرت في ٢٠١١/١١/١٥، وقال أيضا، (إن ما يجعل لحياتي من معنى، متجاوزاً الثقافة والعادات والعرق والدين والقبيلة، اجد هناك الناس، تلك الحقائق الإنسانية والمشاعر والآمال والمبادئ الأخلاقية العالمية، ويعني ذلك إمكانية التوافق على الرغم من اختلافنا، وإن كان هذا الامر لا يعني قضية ما، فانه من الصعب عليّ الإحساس بحياتي).
وخلال المرحلة الدراسية في جامعة كولومبيا، ناقش اوباما نضاله من اجل تحديد هويته مع عدد من الاصدقاء الباكستانيين أيضاً، وكان احد أولئك الأصدقاء مير محبوب محمود، والذي كان يناقش معه آراءه وتلك المناقشات ساهمت في إبراز آراء أوباما وآماله.
ويتذكر محمود ان أوباما وبعد صداقة عدة أشهر وجّه إليه سؤالاً بقوله: (هل تعتقد إني سأصبح رئيساً للولايات المتحدة الأميركية!) وكان سؤاله جاداً وواضحاً، وأجبته: (إن كانت أميركا مستعدة لرئيس أسود، فمن الممكن أن تحقق ذلك).
ولكن اوباما عندما سئل عن الأمر في مقابلة بالبيت الأبيض نفى ذلك، قائلاً إن طريق الطموح آنذاك بالنسبة إليه كان غامضاً ومضيفاً: (لم أكن أفكر بذلك الأمر (الرئاسة) في تلك السن، كان أكثر اهتماماً آنذاك في أن أكون قائداً خارج نطاق السياسة وإن كنت قد سئلت آنذاك عن المستقبل وما أريد ان أكون، فربما كان جوابي سيكون، أن أصبح مثل بوب موسيز (قائد الحقوق المدنية للسود)، أو ربما أفضل قليلاً).

مرحلة الصراع النفسي

في الـ٢٢ من تشرين الثاني عام ١٩٨٢ كتب اوباما الى صديقته ماكنير انه سيصل لوس انجلوس لقضاء العطلة الفصلية، وفي اليوم التالي لارساله الرسالة، قتل والده اثر حادث اصطدام سيارة في نيوربي.
والد بالكاد يعرفه، قد رحل.
جدان بعيدان عنه آلاف الأميال ووالدته ما تزال بعيدة جداً ومن الصعب جدا تقدير الأسى والحزن والوحدة التي شعر بها اوباما انذاك وهو وحيد في نيويورك.
ولكنه في كانون الأول عندما التقى بصديقته ماكنير في لوس انجلوس، تحدث عن ذلك الحدث عرضا وقد مكث الاثنان في شقتهما في اغلب ايام الأسبوعين وقد كتبت ماكنير في المجلة الثقافية، ان اوباما كان اقرب الاصدقاء اليها، وانها قد أحبته حقاً ولكنها لا تدري إن كانت علاقتهما ستدوم!
وقد كتبت لاوباما معبرة عن مخاوفها لإحساسها فقدان اهتمامه بها، وكتب ردا عليها في ٤ نيسان: (إنها كانت مخطئة وانه بذل أقصى جهوده لإنهاء دراسته، وهو مشغول أيضاً بالبحث عن ذاته: (أحس أني اغرق في ممر ما بين أساليب التفكير وتلك التي ابتغيتها والتي اعمل للوصول إليها).
وقد غاب اوباما عن مراسيم التخرج، منهياً مرحلته الدراسية في (كولومبيا) كما بدأها، وحيداً ومنعزلاً عن المشهد الجامعي.
واثر إنهاء دراسته، تولى عدداً من الأعمال الوقتية والتي نجح في الحصول عليها، وكتب عن تلك التجربة قائلا: (إنها تجربة مذهلة جعلتني أدرك مدى مشقة تلك الاعمال الأقل اهمية، وقد عمل اوباما آنذاك مراقباً لعدد من العمال في قسم المطافئ في نيويورك، وقد كتب في رسالة إلى صديقته قائلا: "لقد تعاطفت مع العمال السود واللاتينيين الذين يشكلون نسبة ٤/٣ من القوة العاملة، وقد اضاف ذلك الامر قوة لي".
كان اوباما خارج كولومبيا لستة أشهر عندما جاءت جنيفيف كوك وارتبطت معه بأعمق علاقة رومانسية في مرحلة شبابه لقد التقيا ببعضهما في حفل كريسمس عام ١٩٨٣.
كانت كوك استرالية، مدرسة مساعدة في بروكلين وهي مثل اوباما قد عاشت أعواما في اندونيسيا قبل ان يتم الطلاق بين والديها، وكانت جنيفيف تطلق عليه اسم باهروك، مع التشديد على الراء.
كان اوباما يعيش انذاك في شمال الجانب الغربي ويتولى عملاً بأجر يكفي إيجار البيت ولم يكن راضيا، وكان ما يزال متواجداً مع ذاته ملتقياً أحياناً بأصدقائه الباكستانيين، الذين كانوا ودودين كرماء ومثقفين على استعداد دائم لمناقشة القضايا الفلسفية والموضوعات السياسية الراهنة.
وكانت جنيفيف كوك تكبر اوباما بثلاثة اعوام من مواليد ١٩٨٥ وتكتب يومياتها كما يفعل هو، حائرة أيضاً بشأن هويتها مثله، ولها والدة مستقلة، وساخطة احياناً، مثله ايضاً وتواقة جداً تشتعل رغبة لإصلاح أخطاء العالم، مثله تماماً، وكتبت ذات يوم: (اوباما، أوباما، انه جميل جداً، أوه، لا استطيع الانتظار حتى قدوم الربيع لأكون معه في بروكلين).
وقد لاحظ عدداً من أصدقائه، محاولة اوباما الابتعاد عنها وكتبت جنيفيف كثيراً عن ذلك الأمر في يومياتها، كما ادرك صديقه بينو محمود أن رسائل اوباما لها بدأت تتقلص وتقل مع مرور الأيام ولاحظ أيضاً ابتعاده تدريجياً عن اصدقائه الباكستانيين، كخطوة ضرورية لاعتماد هوية سياسة له، لقد شاركهم اوباما لعدة اعوام اتجاهاتهم كأفراد لا منتمين ينظرون إلى العالم عبر منظور عالمي، ولكن الذهاب إلى حيث يزيد يحتاج إلى التغيير –ليس الانقطاع عن الباكستانيين كأصدقاء، بل الابتعاد قليلاً من اجل تكوين هوية خاصة واضحة ومستقبلة وينذترك محمود قائلا: (الانتقالة الاولى التي لاحظتها عليه هو التفكير في نفسه أميركيا، بطريقة اكثر مبدئية وأساسية).
ومن اجل الإعداد لمستقبله نظم اوباما لنفسه نشاطين –الكتابة والركض–، وكما قالت عنه كوك، (مهرولاً يومياً) وكان ذلك النشاط فارقاً بينهما، لأنها لم تكن تميل إلى تلك الرياضة، كثيراً فهي تركض ولكن دون نظام ولا تقدر على التواصل والاستمرار اما السبب الأساسي في دأبه على الهرولة فكان حرصه على الابتعاد عن صورة الولد البدين، القديمة، فهو انه أصبح نحيفا.
لقد تحدثا عن العرق غالباً كجزء من محاولتهما للوصول إلى هوية محددة وواضحة، وقد شجعته على ذلك، مع إحساسها بمدى إحساسه بالغربة، وثقافته المتعددة المصادر وكذلك انتمائه العرقي، كان يبدو اسود، ولكن هل كان كذلك؟ وفي بعض الاحيان اعترف لها انه (كان يحس انه كان مدعيا، ومع احساسه كونه ابيض البشرة، وفي اوقات في ذلك الصيف ادركت جنيفيف انه حائر في كونه ابيض ام اسود، وكان من الأفضل له ان يستقر عند كونه اسود.
وقد لاحظ محمود الشيء نفسه مثل كوك: الصراع الداخلي لأوباما حول هويته العرقية، وكانت تلك المحاولة منه لاحتضان سواده، (الانتقالة الأهم لاوباما من خلال الأعوام التي أمضاها في نيويورك).
لقد وصل اوباما إلى تحديد هويته وكانت تلك الأعوام حاسمة في حياته: الخطوة الأولى كانت الانتقال من العالمية إلى الأميركية ثم الوصول الى تحديد هويته: انه اسود.
في المرحلة المبكرة من علاقة اوباما بكوك، كان اخبرها عن (صورة المرأة المثالية في مرحلة مراهقته، والتي ظل يبحث عنها، فمن كانت تلك المرأة؟ وفي يومياتها، تفكر كوك في الأمر، "إنها ليست هي، وكانت صفات تلك المرأة، أن تكون قوية امرأة لها شخصيتها الواضحة، متمرسة، مقاتلة، ضحوك، امرأة سوداء، تتراءى لي باستمرار".

عن الغارديان

اوباما مع جده وجدته

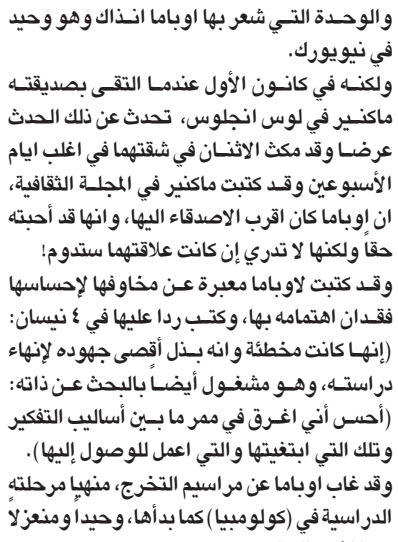
ايام الجامعة